من عام ولكن اذا اعمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي
والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد
والطل اضعف المطر والديمة المطر الذي يدوم اياما قوله او في الانهار والمنابع عطف على قوله
في البلدان المختلفة اي ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراؤه في الانهار و
المنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزرع ونحوها قوله بخلاف من
يرى ان الله تعالى هو الذي خلق الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليها لا يكفر
والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشانها فان حقها ان يتفكر فيها
ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اغفل
لها وقصر في شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله تعالى بان يقول مطرنا بنوء كذا
ويسند مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله تعالى فانه لا شك
انه كافر بالله والانواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع
رقيبه في جانب المشرق من ساعته والعرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط
منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع في تعظيم رسوله
صلى الله عليه وسلم فقال ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا كانه قيل ولو شئنا لخففنا عنك
اعباء الرسالة الى كل العالمين بان نبعث في كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك
قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج لم يحمل المجاهدة المامور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة
مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان قوله فيما بين اظهرهم خبر قوله ولان مخالفتهم
ولا شك ان مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة قوله او لانه جهاد مع كل الكفرة
فيكون ضمير به في قوله وجاهدهم به راجعا الى ما دل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
وهو كونه نذير كافة القرى فانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاقتضى الوضع
فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل
ذلك فقيل له قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات
كلها فكبر جهاده من اجل ذلك فقال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى
جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو
الذي مرج البحرين كانه تعالى يقوي به قلبه ومع امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة
والاصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى قوله
هذا عذب فرات مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج

اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستانفة لا محل لها
كان قائلا قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات جمع فعال من فرت الماء يفرت فروتة
فهو اذا كان في غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح ومليح على وزن فعل وفعيل وقرئ
بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذي يحرق الفم لمن ملوحته من اجاج النار
اجيجا اذا اشتد حرها قوله وتنافرا بليغا لما كان عطف وحجرا محجورا على قوله برزخا دل على انه
تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الاخر ويقول له حجرا محجورا اي حراما عليك
ان تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي ومن المعلوم ان البحر ليس من شانه ان يتعوذ ويقول قولا
جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالاخر مع كمال التنافر
بينهما بعدوين يتنافران في المحاربة يريد كل واحد منهما ان يتقي صاحبه ويتعوذ صاحبه منه
فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين لهذا الكلام
قوله وقيل حدا محدودا اي وجعل بينهما حدا لا يتجاوز وحكم كل واحد منهما من ذلك الحد
في الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ما حواه المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرته
من حجر حائط فهو حجر قوله وذكر كدجلة يعني ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا
كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى ههنا ثم بين انه
تعالى كيف خلا بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لا يتمازجان حتى يحصل
موضع التعجب فقال كدجلة يدخل البحر ومن قال بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير
وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض يتبين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة و
والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء فلا بد من الاستواء وان لم تكن كذلك فلا بد من قادر
حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة وينفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ
الحائل بينهما على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
قوله ونسلا اي [illegible] ذكر في الماء الذي خلق منه البشر ثلث احتمالات الاول انه الماء الذي
خمر به طينة آدم والثاني انه الماء الذي جعل جزءا من مادة كل بشر ثم مادة كل حيوان كما قال
والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين
قوله فجعله قسمين اي ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد نسبا نسب اليه الزوج وذات
صهر يصاهرها فانه ثم فات الصهر الى زوج البنت وما كان من قبل زوج البنت فهو الاصهار
بسبب البنات فذوات الصهر اي اللاتي يصاهرن بهن ليست الا البنات بخلاف ذوي النسب
اي الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الاباء كما قال [illegible]

Copyright © King Saud University